مركز الدراسات السياسية والتنموية
Center for Political & Development Studies

صفقة القرن

توجهاتها وتفاعلاتها المحتملة

إعداد | مركز الدراسات السياسية والتنموية
مارس 2018

مركز الدراسات السياسية والتنموية
Center for Political & Development Studies

صفقة القرن

توجهاتها وتفاعلاتها المحتملة

تقرير

إعداد | مركز الدراسات السياسية والتنموية
مارس 2018

المحتويـات

"صفقة القرن" وتأويلاتها 3

أبرز مضامين "صفقة القرن" المحتملة 4

بيئة "صفقة القرن" المحتملة ونطاقاتها ومداها الزمني 5

- بيئة الصفقة إقليمياً ودولياً
- النطاقات والتفاعلات
- المدى الزمني

إرهاصات محتملة لـ"صفقة القرن" 8

المُحفِّزات والمعيقات 11

- مُحفِّزات "صفقة القرن" المفترضة
- معيقات صفقة القرن المحتملة

الأطراف الرسمية ومواقفها إزاء "صفقة القرن" المفترضة 14

- الرسمية الفلسطينية
- الاحتلال الإسرائيلي
- على المستوى الإقليمي
- الولايات المتحدة
- الأطراف الأوروبية والدولية

سيناريوهات واستنتاجات عامة 20

- سيناريوهات على صعيد ماهية "صفقة القرن" وكيفية تنزيل الصفقة
- خلاصات واستنتاجات عامة

توطئة

صفقةُ القرن، المصطلح الأكثر تداولاً في الأوساط السياسية والإعلامية والأمنية فلسطينيًا وعربيًا ودوليًا، والتي تهدفُ إلى تصفية القضية الفلسطينية وإنهاء الصراع الفلسطيني الإسرائيلي – حسب وجهة النظر الأمريكية -، وعلى مدار الشهور الماضية، تكشفت الكثير من التفاصيل، لكن تبقى جميعُها من مصادرٍ غير رسمية.

في هذا التقرير، يقدم مركز الدراسات السياسية والتنموية بحثاً حول هذه الصفقة، يتناول خلاله توجهاتها وتفاعلاتها المحتملة.

"صفقة القرن" وتأويلاتها المحتملة

- برز مصطلح "صفقة القرن" على صعيد القضية الفلسطينية والشرق الأوسط مع صعود دونالد ترمب إلى الرئاسة الأمريكية رغم أنّ بذرة المصطلح سابقة لعهده. ورغم ارتباط "الصفقة" بعهد ترمب؛ إلّا أنّ التوجّه المحتمل إليها أو إلى مثيلها، يبقى سابقاً لعهده، سواء تعلّق الأمر بالمضامين ذاتها تماماً كما تأتي في تقديرات "صفقة القرن" أم بمضامين مختلفة نسبياً. من ذلك على سبيل المثال، التقارير المتضافرة التي تحدثت عن عقد "قمة سرية" في العقبة الأردنية في سنة 2016 جمعت وزير الخارجية الأمريكي آنذاك جون كيري بكل من العاهل الأردني عبد الله الثاني والرئيس المصري عبد الفتاح السيسي ورئيس الوزراء الإسرائيلي بنيامين نتنياهو، وجاء أنّ كيري عرض خلالها خطة "سلام إقليمي" تتضمن الاعتراف العربي بأنّ "إسرائيل دولة يهودية" مع إطلاق مفاوضات مدعومة عربياً بين الجانبين الفلسطيني والإسرائيلي. مع ذلك؛ فإنّ "صفقة القرن" المحتملة في عهد ترمب قد لا تتطابق مع ما ورد في اجتماع "قمة العقبة" المُشار إليها أو في غيرها من المحطات والمداولات السابقة لعهده.

وقد أثارت "صفقة القرن" المفترضة، المتعلقة بعهد ترمب، جدلًا وتأويلات متعددة، مع تفاوُت في منسوب أخذها على محمل الجدّ أيضاً. ثمّ أنعشت التطورات المتلاحقة خلال ولاية ترمب الرئاسية تقديراتٍ قائلة بجدّية التوجّه إلى "صفقة قرن" محتملة على هذا النحو، مع استمرار التفاوت النسبي في تأويل مضامينها. وسواء بدت "صفقة القرن" هذه حقيقية وجادّة؛ أم قائمة على مبالغات غير واقعية؛ فإنّ طابعها الغامض قد منح زخماً لتقديرات متفاوتة إلى حد التضارب بشأنها، كما أنّ نفي وجود التوجّه إلى "الصفقة" على النحو الشامل لا يقضي باستبعاد ترتيبات كبرى وخطوات جارفة تتوجّه إليها إدارة ترمب بالفعل؛ خاصة مع اتضاح تماثُل مواقفها مع رؤى إسرائيلية بشأن القضية الفلسطينية والمنطقة.

ما يبدو مؤكداً على أي حال؛ أنّ عهداً جديداً نسبياً دخلته القضية الفلسطينية عموماً وعملية التسوية السياسية خصوصاً، لجهة الدور الأمريكي إزاءها على الأقل، بما يعزز فرضيات "صفقة القرن" أو بعض تقديراتها على الأقل.

ومع ذلك؛ فإنّ التوجّه العام في هذا الاتجاه لا ينهض في فراغ؛ فله خلفيات مع إدارات أمريكية سبقت إلى البيت الأبيض، ومع توجّهات تعاقبت على واشنطن سعت إلى إبرام "سلام إقليمي" يمنح امتيازات متقدمة للجانب الإسرائيلي.

كما تنسجم "صفقة القرن" المفترضة، حسب قراءات ومؤشرات متضافرة؛ مع مشروعات سابقة تعاقبت على القضية الفلسطينية، ومع "اتفاقات رفّ" وقع إنضاجها عبر مراحل المفاوضات، أو مع وثائق وتفاهمات غير رسمية ظلّت واردة بانتظار إمكانية التطبيق.

وبينما ذهبت بعض التقديرات إلى أنّ "صفقة القرن" التي يثور الجدل بشأنها تنطوي على مبالغات وأنها ستعجز عن النهوض على قدميها، بل قد تكون بمثابة مضاربات غير واقعية وتخمينات وهمية لا أصل لها أساساً؛ فإنّ تقديرات أخرى مالت إلى الاستنتاج إلى أنّ ترتيباتها نضجت بالفعل، وأنّ خروجها إلى السطح بات مسألة وقت، وأنّ إرهاصاتها تتلاحق، بما سيفرض انصياعاً عربياً واسعاً للمفهوم الإسرائيلي لتسوية قضية فلسطين، أو تصفيتها بالأحرى، ولترتيبات المنطقة المستقبلية ذات الصِّلة.

أبرز مضامين "صفقة القرن" المحتملة

القفز على القضية الفلسطينية وفرض خيارات "حلّ" محدّدة عليها؛ تتراجع عن مواصفات استقرّت عليه عملية التسوية السياسية في أطوار سابقة. وقد يتلازم ذلك مع إطلاق مفاوضات جديدة أو بالتوجّه إلى فرض اتفاق مرحلي أو نهائي، جزئي أو شامل، بما قد يحاكي مسعى التوصل إلى "حلّ نهائي" للقضية.

احتمال إقامة "دولة فلسطينية" بترتيبات جديدة، أو كيان فلسطيني على طريق الدولة. وتتعدّد الإشارات في هذا الشأن لتشمل بعض أراضي الضفة الغربية، خاصة المصنّفة في مناطق "أ" و"ب" وبعض أراضي منطقة "ج" حسب تصنيفات اتفاق أوسلو، علاوة على تقديرات تتحدّث عن دولة أو كيان فلسطيني في قطاع غزة؛ أو عن غزة الموسعة باتجاه شمال سيناء.

حسم وضع القدس بتمكين الاحتلال من السيادة على ما يسميها "القدس الموحدة" شرقاً وغرباً، وتكريسها عاصمة لكيان الاحتلال، مع ترتيبات محتملة تتعلّق بالوصول الفلسطيني إلى المقدّسات دون سيادة على المدينة، وإبراز "قدس بديلة" خارج جدار الاحتلال المسمى "غلاف القدس"؛ قد تكون أبو ديس مركزها.

مباشرة صيغ ما من تبادل الأراضي، سواء على صعيد الضفة الغربية والداخل المحتل سنة 1948، مع ضمّ ما يُعرَف بالكتل الاستيطانية إلى كيان الاحتلال بشكل دائم ووقف التوسّع الاستيطاني، أو بتوسيع رقعة قطاع غزة باتجاه شمال سيناء، تحت ذرائع ومقدمات شتى، مع منح مصر مساحات من صحراء النقب لقاء ذلك.

- إضعاف المقاومة الفلسطينية في قطاع غزة بشكل جذري، وكسر شوكتها عبر حزمة من الخيارات الضاغطة عليها وعلى القطاع عموماً، وربما باللجوء إلى خطوات عنيفة وصادمة أيضاً.
- القيام بحزمة خطوات ذات طابع جوهري نحو قطاع غزة، تشمل وفق إشارات وقراءات متعددة احتمالات منها: توسيع رقعة القطاع باتجاه شمال سيناء، وإبرام ترتيبات جديدة على صعيد المعابر بما يشمل الميناء والمطار أيضاً، وإقامة مشروعات لموارد الطاقة تشمل محطات كبرى، وتحقيق إنعاش اقتصادي ومنطقة تجارة حرة، وغير ذلك من الإشارات والقراءات التي تفترض التوجّه إلى ترتيبات كبرى تضْمَن رسم واقع جديد للقطاع بالتلازم مع كسر شوكة المقاومة أو إضعافها أو احتوائها ومحاصرتها بأساليب خشنة أو ناعمة، بما في ذلك نزع السلاح والإدماج ضمن منظومة مهيمنة على القرار الفلسطيني بما ينسجم مع منحى تمرير الصفقة المفترضة.
- التوجّه إلى تطبيع واسع النطاق ومتعدد المجالات والمستويات بين العالم العربي والإسلامي والجانب الإسرائيلي، بما يتجاوز حتى تلك الاشتراطات السابقة التي تضمنتها مبادرة السلام العربية (2002) والتي ربطت ذلك بالتوصّل إلى ما سُمِّي "الحل العادل والشامل للقضية الفلسطينية"، فيكون التطبيع متجاوزاً للحل السياسي بعد أن كان يُقدّم عربياً لاحقاً عليه.
- طيّ ملف اللاجئين الفلسطينيين بخيارات متعددة، تشمل في عدد من القراءات مساعيَ لتوطينهم، أو محاولة تهجيرهم صوب وجهات جديدة، وإنعاش رؤى "الوطن البديل" الإسرائيلية في الأردن، وتوسعة رقعة قطاع غزة نحو شمال سيناء، وإنهار دور "الأونروا" أو إضعافه. وتبقى هذه عموماً احتمالات مفترضة كلياً أو جزئياً.

بيئة "صفقة القرن" المحتملة ونطاقاتها و مداها الزمني

- **بيئة الصفقة إقليمياً ودولياً:**

تأتي "صفقة القرن" المحتملة في ظلّ مأزق داخلي مزمن وجسيم تعيشه الساحة السياسية الفلسطينية، المنقسمة على ذاتها، والمكبّلة بالتزامات وارتهانات متعددة، والقابلة للضغط عليها من وجوه شتى اقتصادية وجيواستراتيجية، والمرتبطة كيانياً (السلطة) باتفاقات تجعلها ملحقة بالاحتلال و/ أو مرتهنة له؛ بما في ذلك التمويل الخارجي للسلطة الفلسطينية وحركة معابر قطاع غزة والحصار المفروض عليه.

وتأتي إرهاصات "الصفقة" المحتملة بعد انسداد آفاق التسوية السياسية في نمطها التقليدي السابق، واتضاح التصلّب الإسرائيلي الذي مضى إلى فرض خياراته على الأرض؛ كما تجلى في الاستيطان والجدار والقدس مثلًا.

وإن كان مطلوباً من "صفقة قرن" محتملة أن تتنزّل في العالم العربي ومحيطه؛ فإنّ بعض أوضاع المنطقة وأزماتها تبدو ملائمة لفرض توجّهات وتمرير مشروعات غير مسبوقة الطابع على صعيد القضية الفلسطينية وما يتعلق بالجانب الإسرائيلي. فالدول العربية المركزية تشهد تحوّلات جارفة في أولوياتها، واستغرقت في أزمات وشواغل تصرفها عن قضية فلسطين. كما تشهد المنطقة استنزافاً وصراعات وحروباً داخلية مفتوحة منذ سنوات، بينما انهار الموقف العربي الرسمي المتماسك مقابل الجانب الإسرائيلي. وأسفرت التحوّلات الجسيمة التي عرفها العالم العربي عبر سنوات عدة عن إضعاف أدوار العراق وسورية ومصر، وتقويض تماسك دول عربية أخرى مثل ليبيا واليمن، وانكفاء دول أخرى على ذاتها، بينما صعدت أدوار خليجية محددة تبدو منسجمة مع توجّهات "صفقة القرن" المفترضة.

وقد مال السلوك الدولي، مثلًا، إلى عزل موقف الولايات المتحدة بشأن القدس ومشروع الدولتين الذي تراجعت عنه ضمنياً، بما قد يشير إلى صعوبات ستعتري فرص نجاح إدارة ترمب إن اندفعت إلى فرض مشروع محدّد على المنطقة بمنطق أحادي يتجاوز الأطراف الدولية. ومن المرجّح أنّ فرص واشنطن في تثبيت "صفقة القرن" المحتملة في المنطقة تتطلّب توافقات ومواءمات ومقايضات متعددة مع أطراف دولية، بما فيها روسيا مثلًا، علاوة على توفير غطاء أوروبي ما لهذا التوجّه.

▫ <u>النطاقات والتفاعلات:</u>

تتركّز الإشارات والتقديرات المتعلقة بـ"صفقة القرن" المحتملة على إنهاء القضية الفلسطينية وتحقيق "السلام الإقليمي"، بما يشير ضمناً إلى أنّ نطاق الصفقة لا يتعلق بفلسطين أو بقضيتها فقط؛ بل يتّصل بالضرورة بأبعاد وأدوار وتأثيرات وانعكاسات على النطاق الإقليمي ككلّ.

يعزّز هذا الاستنتاجُ الحاجةَ إلى إدراك "صفقة القرن" المفترضة من منظور مركّب ومتعدِّد الأبعاد والانعكاسات، بما يجعلها متّصلة، مثلًا، بتطوّرات وتأثيرات وانعكاسات متعدِّدة في دول الجوار الفلسطيني جميعاً، وبالإقليم الخليجي أيضاً بصفته الركيزة الاقتصادية والمجال التطبيعي الأبرز لهذه الصفقة.

ومن شأن هذه القراءة أن تمضي إلى استحضار الأزمة الخليجية التي نشبت بعد جولة ترمب الخليجية (أيار/ مايو 2017) وكذلك تطوّرات المحاور الإقليمية المتحرِّكة بما يشمل الأدوار الإيرانية والتركية؛ وهذا ضمن قراءة متلازمات الصفقة المفترضة وارتداداتها وإرهاصاتها، أخذاً بعين الاعتبار تشابُك الأدوار والتأثيرات والمصائر في الإقليم؛ وإبراز دور إسرائيلي مركزي فيه بموجب ترتيبات "صفقة القرن" المحتملة. وللطابع المركّب للصفقة، وفق هذه القراءة، أن يفترض تضافر ترتيبات و"صفقات" رديفة ومتلازمة تدفع بها واشنطن في المنطقة وقد تكون هذه بحد ذاتها ضمن حلقات "صفقة القرن" المفترضة أيضاً. ويبقى أنّ الطابع الغامض وغير المحدّد لـ"صفقة القرن" المفترضة؛ كفيل باستيعاب احتمالات وتقديرات متعددة في هذا الاتجاه وإن جاءت متضاربة.

▫ <u>المدى الزمني:</u>

بالقياس إلى مساعي التسوية السياسية في حقبة "عملية سلام الشرق الأوسط" التي انطلقت في مدريد (1991) ثم تطوّرت في اتفاقات أوسلو (1993 - 1994) وما بعدها؛ فإنّ أيّ اتفاقات وترتيبات ومفاوضات بحجم "صفقة القرن" المفترضة من شأنها أن تستغرق سنواتٍ عدّة قد تمتدّ إلى عقد من الزمن أو يزيد. لكنّ الطابع الجارف والمتهوِّر تقريباً لإدارة دونالد ترمب، ونمط الانجراف الذي يخيِّم على صناعة القرار في المنطقة العربية أيضاً؛ مما لا يمنح يقيناً بشأن الخطوات التي ستُقدِم عليها واشنطن في هذا الشأن ومدى تسارُعها، وهذا بالنظر مثلًا إلى ما أقدمت عليه في المنطقة على صعيد الخليج وكذلك القضية الفلسطينية بين ربيع 2017 وحتى الشتاء الموالي له.

وإذ يقضي ذلك بضبابية النطاق الزمني لـ"صفقة القرن" المفترضة؛ فإنّ ما يُؤخَذ بعين الاعتبار أيضاً أنّ مساعي التسوية السياسية أظهرت احتمالات تحقيق العاجل منها دون الآجل؛ الذي قد يبقى خياراتٍ ووعوداً معلّقة في الأفق. ولا يُستبعَد في هذا السياق أن يأتي ذلك مراهنةً مقصودة بذاتها لتعزيز التوجّه التطبيعي الإقليمي لقاء وعود تفاوضية معلّقة أو مضلّلة قد لا تتحقّق مآلاتها الموعودة أساساً، أسوة بما جرى مع اتفاقات أوسلو مثلًا.

ومن التحدِّيات المحتملة التي تتعلّق بالنطاق الزمني لـ"صفقة القرن" المفترضة؛ أنّ احتمال طول أمد تنزيلها في الواقع قد يتجاوز أمد ولاية/ ولايتيْ دونالد ترمب في البيت الأبيض.

. كما أنّ قابلية التوقّع لدى الأطراف، بما فيها واشنطن، ضمن أمد زمني ممتدّ؛ قد تضـــاءلت بوضوح في عالم سريع التحوّل، ففي منطقة تعجّ بالاضطرابات والتحوّلات الجارفة يتضـــاءل مجال الرؤية بما يُعيق الاستشراف وَيحُول دون اليقين المسـتقبلي لأي من الأطراف. ومع ذلك؛ فإنّ التحوّلات المتسـارعة قد تحفّز بذاتها احتمالات فرض خيارات محدّدة على نحو أسرع زمنياً من مراحل التسوية السابقة، بغضّ النظر عن قابلياتها للتثبيت الفعلي والاستدامة. وبالوسع الافتراض بأنّ نطاقاً زمنياً ممتداً لـ"صفقة القرن" المحتملة، من شـأنه أن يتيح فرص اسـتدراك تباشرها بعض الأطراف التي تسـتشـعر خسـارتها من هذا التوجّه المفروض، بما يتيح فرصاً ما لتعويض الخسائر والتراجعات المحتملة التي قد تستشعرها.

إرهاصات محتملة لـ"صفقة القرن"

تشهد المنطقة والعالم تطوّرات متضافرة تبدو مرشّحة لأن تندرج ضمن إرهاصات "صفقة القرن" المُحتمَلة. إنّ تشـابه بعض الأعراض مع الإرهاصات المتوقعة لهذه "الصـفقة" لا يقطع، بالطبع، بأنّ تطورات أو خطوات بعينها على هذا النحو قد جاءت أساساً لتخدم "الصـــــفقة"؛ لكنّ أيّ تطوّرات أو خطوات كهذه كفيلة بأن تخدم في نتيجتها وتأثيراتها توجّهات "صـــفقة القرن" المفترضة، أو أنها قابلة للتوظيف على هذا النحو، وإن لم يكن ذلك مقصوداً ابتداءً.

ومن إرهاصات "صفقة القرن" أو ممهّداتها، على سبيل الاحتمال:

- تغيّر ملحوظ في طبيعة المواقف ولغة الخطاب لدى عواصم عربية بشـأن مسـتقبل القضـية الفلسـطينية؛ بما ينسـجم مع توجّهات "صفقة القرن" المحتملة. وقد برز هذا المنحى بوضوح بعد صعود ترمب إلى الرئاسة الأمريكية.
- صعود توجهات تطبيعية من بلدان خليجية وعربية بما يعبِّر ضمنياً عن توجّهات رسـمية ترعى ذلك في بعض العواصم العربية، وقد عبّر ذلك عن ذاته في لغة خطاب متصـاعدة وفي لقاءات وزيارات متعددة. وتتزايد التقارير المنشورة التي تزعم إجراء اتصالات ولقاءات خليجية إسرائيلية على مستويات قيادية، بعضها مستويات بارزة دون نفي ذلك من العواصم العربية المعنية.
- تبدّل أولويّات العداء والخصـــومة المُعلَنة لدى دول وأطراف خليجية وعربية، لتتركّز في اتجاه إيران وقطر وتركيا والإخوان المســـلمين ودول وأطراف أخرى، مع نبرة تصـــالحية نحو الجانب الإســـرائيلي تمنح انطباعاً تقاربياً. ويُقابل ذلك خطاب التباهي الإســـرائيلي الرســـمي بتقدّم تاريخي في التواصل والتعاون والشـــراكة مع دول عربية. ومن الواضح ما تحمله هذه النبرة من طابع دعائي تحرص حكومة نتنياهو من خلاله على إبراز ذاتها ضمن نســـيج المنطقة والإيحاء بعهد جديد فيها.

- إعلان ترامب بشأن القدس في كانون أول/ ديسمبر 2017، والذي تضمّن عملياً تنصّل واشنطن من دفع مشروع الدولتين أيضاً، وقد عبّر فيه عن موقف إدارته من المفاوضات التي اشترط لرعايتها توافقَ الرغبات الإسرائيلية - الفلسطينية لخوضها ابتداء، خلافاً لمنطق رعاية التسوية السابق.
- تعطيل المصالحة الفلسطينية التي وقع التوجّه إليها بجرأة في خريف 2017 برعاية مصرية، وتنصّل السلطة الفلسطينية من الالتزامات المترتبة عليها بموجبها رغم الخطوات العملية التي اتخذها الطرف الآخر. وقد جرى هذا التلكؤ والتنصّل وثيق الصلة بأدوار خارجية ضغطت على رام الله كي تتراجع عن المصالحة، وفق المؤشرات والتقديرات.
- تشديد الخناق على الشعب الفلسطيني في قطاع غزة، وتعاظُم إجراءات الحصار المتضافرة في مجالات متعدِّدة، علاوة على سلسلة الإجراءات العقابية التي فرضتها السلطة الفلسطينية على القطاع في سنة 2017 على نحو غير مسبوق بما ضغط بوضوح على الحالة المعيشية لسكان القطاع.
- الخطوات الأمريكية المتصاعدة ضد حركة "حماس" والتي تشمل التوسّع الجديد في تصنيفات "الإرهاب" بحق قياداتها ورموزها، واتخاذ خطوات عقابية متلاحقة بحقها من جانب هيئات التشريع والإدارة في واشنطن.
- الإجراءات والخطوات الأمريكية والإسرائيلية الضاغطة على السلطة الفلسطينية على صعيد التمويل، وكذلك في ما يتعلق بالتلويح بإغلاق مكتب منظمة التحرير في واشنطن مثلًا، وقد فُهِمَت هذه عموماً على أنها محاولات ضغط وابتزاز مدفوعة سياسياً من واشنطن لفرض إملاءات على رام الله الرسمية.
- ما رشح من مضامين لقاءات رئيس السلطة الفلسطينية محمود عباس بالقيادة السعودية في الرياض في سنة 2017، بما في ذلك لقاء التأم في ظلال إعلان ترمب بشأن القدس، وما ورد في بعض التقارير عن وعود بمضاعفة التمويل السعودي للسلطة إن وافقت على خطوات تلتقي مع توجهات "صفقة القرن" المحتملة.
- تطوّرات شمال سيناء المتعلقة بالحالة الأمنية، بما في ذلك دخول "داعش" على الخطّ وتهديداتها للمقاومة الفلسطينية في قطاع غزة، وإخلاء السكان من مناطق معينة من المنطقة تحت عناوين أمنيّة وبموجب المواجهات العسكرية مع المسلحين،

وهو ما ترى بعض القراءات أنه ينسجم في مآلاته المحتملة مع مقتضيات توسيع المجال السكاني لقطاع غزة وفق الرؤى التي يُطلَق عليها أحياناً "غزة الكبرى".

- تطوّرات شمال سيناء المتعلقة بالحالة الأمنية، بما في ذلك دخول "داعش" على الخطّ وتهديداتها للمقاومة الفلسطينية في قطاع غزة، وإخلاء السكان من مناطق معينة من المنطقة تحت عناوين أمنيّة وبموجب المواجهات العسكرية مع المسلحين، وهو ما ترى بعض القراءات أنه ينسجم في مآلاته المحتملة مع مقتضيات توسيع المجال السكاني لقطاع غزة وفق الرؤى التي يُطلَق عليها أحياناً "غزة الكبرى".
- بعض الاستحقاقات المُحتَملة المترتبة على تقديم مصر جزيرتي تيران وصنافير للمملكة العربية السعودية، بما قد يؤسِّس لتواصل تطبيعي سعودي - إسرائيلي حيوي ودائم؛ على اعتبار موقع الجزيرتين وما يتعلق بهما في الاتفاقات والترتيبات المصرية - الإسرائيلية المعمول بها بشأنهما.
- التطوّرات ذات الصلة بملف اللاجئين الفلسطينيين التي من شأنها التهيئة لمحاولة طيِّه أو تجاوزه، من قبيل حجب التمويل الأمريكي عن وكالة غوث وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين "أونروا" وإضعاف دورها وخدماتها، علاوة على نشر إحصاءات عن اللاجئين الفلسطينيين في توقيت رديف باعث على تأويلات وشكوك.
- تزايد الخطوات التي من شأنها التمهيد لشراكات اقتصادية وحالات اعتماد متبادل بين دول عربية والجانب الإسرائيلي، بما في ذلك مشروعات في مجال الطاقة، وحقول الغاز في شرق المتوسط، ومنها صفقة إمداد مصر بالغاز من الجانب الإسرائيلي (شباط/ فبراير 2018).
- تصاعد التسخين العسكري والتلويح الإسرائيلي بشنّ حرب على الجبهتين الشمالية (لبنان والجولان)، والجنوبية (قطاع غزة)، بالتلازم مع الإجراءات الميدانية الإسرائيلية حول قطاع غزة؛ خاصة مع ما يتعلق بالسباق مع الزمن في مكافحة أنفاق المقاومة بوسائل متعددة؛ وتطوير منظومات دفاعية وتقنية في محاولة التصدي للمقاومة الفلسطينية في أي جولة حربية جديدة.

المُحفِّزات والمعيقات

▣ مُحفِّزات "صفقة القرن" المفترضة:

- تضعضُع النظام الرسمي العربي، وفقدان الإجماع العربي التقليدي بشأن القضية الفلسطينية، وصعود توجّهات تطبيعية مع الجانب الإسرائيلي من جانب وأولويّات عدائية نحو وجهات إقليمية مختلفة. كما تتوفّر مؤشرات متزايدة على إرادة سياسية منعقدة في عواصم عربية تقبل بالتوجّه إلى "صفقة القرن" المفترضة، كما يُفهَم من إشارات متضافرة في هذا الاتجاه تمثّل بحدّ ذاتها فكاكاً جوهرياً من مواقف وخطابات رسمية سابقة، بصفة تُحيِّد العداء/ الخصومة مع الجانب الإسرائيلي وتمنح انطباعات تقاربية أو حتى تحالفية معه.
- توجّهات القيادة الأمريكية المُفصَح عنها في عهد ترمب؛ واتضاح متزايد لجدِّية تماثُلها مع المواقف الإسرائيلية في بعض الملفات بعد أن ظُنّ من قبل أحياناً أنها تعبيرات انتخابية مؤقتة. ويلحق بذلك احتفاظ إدارة ترمب بالغموض في التوجّهات نحو عدد من الملفات الدولية؛ بما يوسِّع من نطاق التوقّعات وصعوبة التحسّب لمفاجآتها، لا سيما مع نزعة الغطرسة والصرامة في بعض قراراتها، كما اتضح على صعيد القضية الفلسطينية ذاتها في سلسلة قرارات تتعلّق بالقدس وبـ"الأونروا" على سبيل المثال لا الحصر.
- ضعف الموقف الفلسطيني عموماً، وافتقاده الظهير الإقليمي والدولي المساند، وضعف السلطة الفلسطينية وتراخي سياساتها ومواقفها قياساً بعهد الرئيس الراحل ياسر عرفات، مع تصاعُد الأزمة الداخلية وحالة الانسداد في البيت السياسي الفلسطيني رغم توالي مساعي المصالحة دون جدوى حتى الآن. وتَلحَق بذلك تقديراتٌ تلحظ استعداد السلطة الفلسطينية ذاتها للتكيّف مع "صفقة القرن" المفترضة أو الرضوخ لبعض حلقاتها وملفّاتها على الأقل؛ والإحساس بسطوة الواقع وانتفاء البدائل المتاحة.
- الأزمة الاقتصادية المُزمِنة لدى السلطة الفلسطينية وحالة الاعتمادية القائمة لديها على المانحين الدوليين والإقليميين، والارتباط الضمني بالاقتصاد الإسرائيلي بموجب اتفاقية باريس، بما يمثّل ورقة ضغط على الموقف الرسمي الفلسطيني، وفرصة لتكبيله وتضييق خياراته، أو لاستمالته وإخضاعه.
- اشتداد وطأة الحصار المزمن المفروض على قطاع غزة، بما يحفِّز توجّه بعض الأطراف لمحاولة قطف ثماره بفرض خيارات قسرية محددة على القطاع. وما يزيد من مفعول هذا العامل الضاغط تَفاقُم الصعوبات الإقليمية والأعباء المالية التي تواجهها حركة "حماس" في هذه المرحلة.

- تكبيل فائض القوة العسكرية لدى المقاومة الفلسطينية بمحدِّدات قطاع غزة المحاصر، مقارنة بالسعة الميدانية التي حازها نشاط المقاومة ذاتها في مواجهة اتفاق أوسلو وما ترتّب عليه خلال تسعينيات القرن الماضي؛ عبر عمليات لم تكن قد خضعت وقتها لمحددات شبيهة. ويلحق بذلك فرض واقع ميداني وأمني جديد في الضفة الغربية عبر السنوات الأخيرة بما يحدّ من فرص النشاط المقاوم وآفاق الانتفاضات الجماهيرية.
- التحوّل في نمط القيادة المصرية بعد 2013، مع تزايُد حاجة القاهرة إلى غطاء سياسي خارجي أمريكي ودعم اقتصادي مستمرّ، علاوة على ما تواجهه مصر من مصاعب سياسية في الداخل وتهديدات وتحدِّيات في سيناء بشكل خاصّ؛ وهو ما يجعلها عرضة لضغوط وإغراءات في سياق ترتيبات إقليمية تمسّ بالقضية الفلسطينية.
- نضوج وفرة من مشروعات التسوية والتصفية لقضية فلسطين في الأدراج، وبعضها تفاهمات مُعلَنة وغير مُعلَنة سبق وضعها، و"اتفاقات رفّ" تُعَدّ جاهزة للتنفيذ، وهو إجمالًا بمثابة مخزون مضموني متراكم يبدو قابلًا للأخذ به بدرجة أو بأخرى.
- تكبيل القوى السياسية والشعبية العربية المعارضة تقليدياً لتوجّهات كالتي تُنذِر بها "صفقة القرن" المحتملة، وحالة الضعف والانشغال التي تعانيها في بيئاتها. ويبدو ذلك واضحاً في حالة الحركات الإسلامية والإصلاحية مثلًا عبر العالم العربي، كما جسّدته سابقاً المنصّات القومية - الإسلامية على سبيل المثال.

▣ معيقات "صفقة القرن" المحتملة:

- المواقف الفلسطينية العامة المناوئة لـ"صفقة القرن"، بغضّ النظر عن مدى انعكاسها على المواقف الرسمية للسلطة الفلسطينية. كما أنّ المخزون الفلسطيني الذاتي، على صعيد الجماهير والمقاومة والفصائل، في مواجهة "صفقة القرن" المفترضة أو بعض حلقاتها على الأقل؛ يبقى عاملًا جوهرياً في مواجهة توجّهات كهذه، بما في ذلك قابليات تطوير حالة غضب شعبي فلسطيني في مواجهة الاحتلال / أو قابلية رفع الغطاء عن أي توجّه رسمي فلسطيني يتساوق مع توجّهات محسوبة على "صفقة القرن".

صعود التوجّه الأمريكي نحو "صفقة القرن" المحتملة، بصفة يغلب عليها نمط أحادي الجانب، وبمعزل عن المسارات الدولية التقليدية مثل صيغة "الرباعية"، وهو ما يُفقِدها بعضاً من الزخم الدولي الذي حظيت به مساعٍ سابقة.

- وثمة شكوك بشـــأن مدى توفر الغطاء اللازم لـ"صفقة" على هذا النحو من أطراف دولية، من قبيل الاتحاد الأوروبي، وروسيا، وحتى الصين، علاوة على الدول الإقليمية خاصة تركيا وبعض الدول العربية، فضلًا عن التساؤلات القائمة بشأن الغطاء الرسمي الفلسـطيني الذي تتطلبه صفقة كهذه.
- إقدام إدارة ترمب على خطوات مُطابِقة لموقف القيادة الإسرائيلية، بشـــأن القدس وكذلك تجاوزها مواقف الإدارات الســابقة من مشـــروع الدولتين؛ أضعف فرص الولايات المتحدة في رعاية أي اتفاق أو الوساطة في تســـــــــوية مُقبِلة، وقد تم التلويح من الجانب الرسمي الفلســـطيني برفض الرعاية الأمريكية للمفاوضات مســـتقبلًا؛ بغضّ النظر عن مدى قدرة السلطة على التشبّث بموقفها هذا.
- بروز عامل المتضـررين المحتملين من "صفقة القرن" المفترضة، وهو عامل ينشـأ على إضرارها المحتمل بمصـالح أطراف في الإقليم العربي والإسلامي، مثل ما قد يقع بحق الأردن ومصـر علاوة على السـلطة الفلسـطينية ذاتها، علاوة على دول عربية وإسلامية أخرى، وهذا وفق بعض التقديرات على الأقل. وقد يمسّ ذلك ببعض حلقات الصـفقة المفترضة؛ وإن تعاونت هذه الأطراف مع حلقات أخرى منها.
- نضـــوج مواقف شعبية عربية مناوئة للتوجهات التطبيعية وتُعلن عن نبذ الاحتلال بجرأة، وهي حالة قابلة لأن تتنامى في مواجهة "صفقة القرن" أو بعض حلقاتها، خاصة التطبيعية منها، مع ملاحظة أهمية صـدور مواقف كهذه من دولة الكويت وتأثيره على الإقليم الخليجي الذي يُفترَض به أن يكون شريكاً مباشراً في إنعاش "الصفقة" وإنعاش حمّى التطبيع.
- غياب الغطاء الإقليمي الشـامل لتحوّل كبير يُفترَض أن يجري فرضه من خلال "صفقة القرن"، خاصة بالنظر إلى تركيا وإيران بصفة خاصة، وبعض الدول العربية ضمناً على سبيل الاحتمال. التوجّهات الشعبية الراسخة والعميقة في العالم العربي التي ترى في توجّهات كالتي تُنذِر بها "صفقة القرن" تهديداً وتحدياً. وإن لم يكن بوسع العامل الشـعبي إحباط "صفقة القرن" لأسـباب موضـوعية وذاتية؛ فلا ينفي قدرته على إعاقتها أو كبح اندفاعها أو تعطيل بعض حلقاتها.
- ضعف الاستقرار الإقليمي لا يضمن في بعض وجوهه تثبيت "السلام الإقليمي" الذي تنادي به "صفقة القرن" المفترضة، ويدخل في ذلك، مثلًا، طبيعة الهزّات السـياسية الداخلية التي لا يُستبعَد أن تشهدها بعض أنظمة الحكم التي تعصف بها التحولات والتحديات والتهديدات،

خاصة مع ضلوع بعضـــها في جبهات حربية مفتوحة وفي استنزاف اقتصـــادي متعدد المستويات.

- لا ضمانة لمُخَرجات بعض الخطوات والمساعي التي قد تراهن عليها تمهيدات "صفقة القرن" المفترضة، فمحاولة كسر شوكة المقاومة الفلسـطينية، مثلًا، قد تعود بارتدادات عكسـية لا تخدم "صفقة القرن"، وإضعاف السـلطة الفلسـطينية، في المقابل، قد تسـتنفر بيئة تحفّز حراكاً شعبياً وسياسياً ضاغطاً لا يريح توجّهات "الصفقة".
- مآزق محتملة قد تواجهها إدارتا ترمب ونتنياهو، خاصـة مع الاتهامات والتحقيقات الداخلية التي تطارد الحكومتيْن الأمريكية والإسـرائيلية كل في سـياقها، بما قد يدفع بتطوّرات أو مفاجآت من شـأنها كبح التوجّه إلى بعض حلقات "صـفقة القرن" المحتملة. لكنّ ذلك قد يحرِّض، في المقابل، على اندفاعات إلى الأمام في اتجاه "الصـفقة" أو بالتوجّه إلى إحراز ما تبدو "إنجازات" سياسية أو عسكرية للتغطية على الصعوبات الداخلية؛ وإن جاء ذلك بصفة متهوِّرة أو سطحية.
- صعوبة الحفاظ على توجّهات "صفقة القرن" المفترضة إن تطلّبت أمداً زمنياً طويلًا، خاصة وأنها قد تأتي في بيئة غير مستقرة وظروف غير مشجِّعة وضمن تحوّلات نسبيّة في النظام الدولي على حساب نفوذ الولايات المتحدة وقدراتها على التصّرف.

الأطراف الرسمية ومواقفها إزاء "صفقة القرن" المفترضة

▣ الرسمية الفلسطينية:

تمثل نُذُر "صفقة القرن" تحدياً جسيماً للسلطة الفلسطينية/ قيادة منظمة التحرير، لأنها في بواكيرها وحتى قبل الإفصاح المحتمل عنها، تضمّنت إهالة التراب على مشـروع الدولتين ومسـار التسـوية السـياسية بمواصفاته السـابقة. ومن شأن "الصـفقة" المحتملة أن تمثل تقويضاً لوعود التسـوية الكبرى في قيام دولة فلسـطينية ولو بمواصفات الحد الأدنى وأن تكون القدس الشـرقية عاصمتها. وتواجه الرسمية الفلسـطينية تحديات منها "تحدي البديل" الذي يراه الأمريكيون والإسرائيليون الأنسـب لقيادة المرحلة المقبلة من الجانب الفلسـطيني، خاصة إن لم تتجاوب القيادة الحالية مع الضغوط التي قد تُمارَس عليها.

كما يأتي موقع قطاع غزة من الصفقة تحدياً آخر للرسمية الفلسطينية بما في ذلك احتمالات التوجّه إلى مشروع "غزة الكبرى" بصفة قد لا تروق للقيادة الرسمية الفلسطينية، خاصة أن باشرت القاهرة فرض خيارات معيّنة لا ترغبها رام الله الرسمية.

ومن المرجّح أنّ التحدي الأكبر الذي ترسمه "الصفقة" المفترضة على الرسمية الفلسطينية هو مع شعبها إن جاء أداؤها في مواجهة الصفقة هزيلًا أو دون مستوى التوقعات. ومن المتوقع على أي حال أن يعلو التحذير من "صفقة القرن" في الخطاب الرسمي الفلسطيني الداخلي، بصفة قد تُستَعمل أحياناً لتبرير توجّهات معينة، من قبيل التقاعس عن "المصالحة الفلسطينية" بحجج من بينها أنها تكون من مقدمات "صفقة القرن" لتمرير مشروع "غزة الكبرى".

ومن المرجّح على أي حال أنّ توجّهات "صفقة القرن" ترسم ظلالًا من الشكّ في الساحة الفلسطينية بشأن جدوى مشروع السلطة الفلسطينية ذاته، الانتقالي في أساسه، بما قد يحفّز التوجّه إلى بحث خيارات بديلة في الداخل والخارج، علاوة على ما قد تجرّه "الصفقة" من ضغوط اقتصادية على السلطة والشعب. لكنّ توجّهات "الصفقة" تمنح فرصاً كامنة للساحة الفلسطينية عموماً، للتنصّل من "حقبة أوسلو" والفكاك من قيودها والتزاماتها، واشتقاق خيارات بديلة إن بدا ما سواه متعذراً، وإن كان ذلك يتطلب إرادة سياسية مفقودة على المستوى الفلسطيني حتى الآن.

من المتوقع أن تكثّف الرسمية الفلسطينية من مساعيها، مع بعض الشركاء الإقليميين، لاستحضار الأوروبيين إلى المشهد لإحداث حالة توازن نسبية مع الانجراف الأمريكي، علاوة على محاولة التحرّك المتكرر عبر المنصّات الدولية؛ لكنّ ذلك وحده لن يتمكن من كبح الاندفاعات الأمريكية الجارية وقدرتها على الهيمنة على السلطة الفلسطينية ذاتها.

ولدى السلطة الفلسطينية، من حيث المبدأ، هوامش نسبية للتحرك في مواجهة أي مسعى قد تقرّره واشنطن لفرض "الصفقة" بشكل قسري عليها. فقد تحاول الرسمية الفلسطينية الاستقواء بمواقف إقليمية ودولية في مواجهة "الصفقة"، لكنها ستحرص على الأرجح على التحرك بخيارات غير تصادمية مع الولايات المتحدة، كما رشح حتى الآن من سلوكها الفعلي.

وإن مضت هيئات فلسطينية رسمية إلى التلويح بإجراءات ذات طابع صارم؛ فإنّ ذلك وحدة لا ينعقد برهاناً على توفر إرادة سياسية جادة لتصعيد فعلي. فقد اختار الموقف الرسمي الفلسطيني، في النهاية، الانتظام ضمن سقف عربي واطئ في الأساس،

ولم تقع ترجمة التحذيرات التي جرى التلويح بها، بل استمر "التنسيق الأمني" على الأرض، وتعثّرت خطوات المصالحة، ولم تحدث انفراجة في الحوار السياسي الفلسطيني الداخلي اللازم لمواجهة مخاطر المرحلة.

▣ الاحتلال الإسرائيلي:

يبدو كيان الاحتلال مستفيداً مباشراً، أو المستفيد الفعلي، من أي "صفقة قرن" على النحو الذي ترتسم ملامحه في الأفق. فالمواقف الأمريكية المتعلقة بالقضية الفلسطينية على الأقل تميل إلى مزيد من التماهي مع المواقف الإسرائيلية، على نحو لم تعرفه الإدارات التي تعاقبت على البيت الأبيض منذ انطلاق مسيرة التسوية السياسية في مدريد (1991). ومن المتوقع أن تسعى حكومة بنيامين نتنياهو أو ما قد يعقبها إلى اغتنام هذه اللحظة التاريخية في تكريس مكتسبات جديدة لها في الواقع السياسي وعلى الأرض، بما في ذلك تعزيز قضم القدس وحسم مصيرها التفاوضي وتكريس واقع الاستيطان وإنعاش التطبيع مع العالم العربي وتطوير أواصرها مع دول إسلامية وآسيوية وأفريقية. ومع ذلك؛ فإنّ ذلك كله ليس كفيلًا ببعث الارتياح لدى قيادة الاحتلال؛ أخذاً بعين الاعتبار ما قد تستنفره "الصفقة" من التطورات العكسية والمعيقات المحتملة التي قد تعترض سبيلها.

ورغم تماهي إدارة ترمب مع حكومة الاحتلال في مفاصل أساسية؛ فإنّ ذلك لا يمنع أن تجد القيادة الإسرائيلية المتصلّبة في بعض جوانب "صفقة القرن" المفترضة ما لا يتماشى بالكامل مع تطلّعاتها منها، خاصة بالنظر إلى طبيعة التركيبة الحكومية والبرلمانية الهشة نسبياً القائمة في كيان الاحتلال؛ والتي لا تتيح فرصة لتقديم ما سمّتها حكومات إسرائيلية سابقة "تنازلات مؤلمة".

وقد أظهر العقدان الماضيان في بعض محطاتهما مأزقاً في القدرة القيادية الإسرائيلية على صناعة قرار استراتيجي كبير، نظراً لطبيعة التكوين الائتلافي الحاكم بما يغلب عليه من مزايدات من جانب وتهديدات بإقالة وزراء وقادة حكومات جراء اتهامات فساد.

ويبقى من الاحتمالات الضاغطة إمكانية حدوث تطورات داهمة على مسيرة التوجّه إلى "صفقة القرن" المفترضة، سواء على المستوى الميداني، مثل نشوب حرب على الجبهة الشمالية (لبنان وسورية)، و/أو على الجبهة الجنوبية (قطاع غزة)؛ أو على المستوى السياسي الداخلي بما قد يعصف بحكومة نتنياهو أو بإدارة ترمب ذاتها تحت ضغط الملفات الداخلية المثارة بحقهما.

▣ على المستوى الإقليمي:

تقتضي مسارات "صفقة القرن" المفترضة تعاوناً إقليمياً معها، خاصة من جانب مصر والأردن ودول الخليج علاوة على السلطة الفلسطينية. ورغم أنّ العواصم الإقليمية لم تعبِّر بوضوح عن تبنّي هذه "الصفقة" التي لا زالت حتى حينه موضوع تقديرات وتسريبات وتكهّنات؛ وأنّ بعضها، مثل القاهرة، نفى الاستعداد للضلوع فيها خاصة ما يتعلق بمشروع "غزة الكبرى" في سيناء؛ إلّا أنّ ذلك لا يجزم بحقيقة توجّه هذه الأطراف بشأن "الصفقة" المفترضة.

وعلاوة على الضغوط السياسية والاقتصادية المتصاعدة على الساحة الفلسطينية، والتي تجرى على مرأى من العواصم العربية؛ فإنّ تهيئة الأجواء اللازمة لاختمار "صفقة القرن" جارية بلا هوادة، بما في ذلك التصعيد المحسوب لخطوات التطبيع إعلامياً وسياسياً من جانب بعض العواصم العربية مع الجانب الإسرائيلي، وتكييف الحسّ الشعبي بشكل تدريجي مع حالة الانزلاق إلى المربع الإسرائيلي وتبدّل أولويات الخطاب.

لكنّ إمكان التوصّل إلى صفقة القرن لا يقضي بقابليتها الفعلية للتثبيت والاستدامة، خاصة مع احتمال نشوء حالة من تلاقي إرادات الخاسرين من "الصفقة" المحتملة ، بما قد يُنشئ محاور واصطفافات في مواجهتها عربياً وإسلامياً ودولياً. وتدخل في ذلك الحاجة إلى توفير غطاء دولي لتوجّه بحجم "صفقة القرن" لا يمكن للولايات المتحدة وحدها أن تمضي إلى فرضه.

وتلحق بذلك تطوّرات حالة ضعف الاستقرار السياسي في الإقليم العربي وما قد تدفع به من مفاجآت غير محسوبة، فالرمال المتحركة في الإقليم لا تمنح يقيناً مستقبلياً لأي طرف، فكيف بشأن "صفقة" قد يُراد لها أن تتنزّل سريعاً على المنطقة دون مقومات تثبيت، أو تتنزّل على نحو تدريجي ومرحلي دون أن تضمن استقرار بيئة التنزيل وثبات عواملها وعواقب متغيراتها؟!

كما يبرز طابع المجازفة النسبية الذي تنطوي عليه "صفقة القرن" المحتملة، والذي قد يدفع بارتدادات غير محسوبة في الساحة الفلسطينية و/أو على المستوى الإقليمي، خاصة مع ما قد تجرّه التوجّهات الأمريكية - الإسرائيلية المتضافرة في ظلال "الصفقة" على بعض الأوضاع في الإقليم.

ولا يمكن إغفال المخزون الكامن من المعارضة الشعبية في العالم العربي والإسلامي لتوجّهات التطبيع مع كيان الاحتلال، على نحو قد تستفزه توجّهات "صفقة القرن" المفترضة عاجلًا أو آجلًا، مع ملاحظة حاجة "صفقة القرن" كي تمرّ إلى حجب الإرادة الشعبية في البلدان العربية المعنية بها وهو ما يمثل حالة كبت مضاعفة من المستبعد افتراض قابليتها للاستدامة وإن تحقّق لها شيء من النجاح.

ومن المعضـــلات التي سيواجهها أي حكم؛ أنّ معارضة التطبيع ستغدو بهذا المنحى بمثابة "معارضة سياسية" لتوجّهات الحكم ذاته، بما يستحدث حالة مسـتجدة في التوتّر الداخلي لا يسع أي نظام سلطوي التهاون معها.

▣ الولايات المتحدة:

تواجه الولايات المتحدة في عهد ترمب تحديات لجهة تعاملها مع القضـــية الفلســـطينية وقدراتها على التأثير في المنطقة عموماً. فقد طرأت تحوّلات نسـبية على بعض التوازنات، منها دخول العامل الروسي مباشرة في المشـهد الإقليمي، خاصة في سورية، وتراجعت قدرة الولايات المتحدة على التفرّد بالقرار الدولي قياسـاً بمرحلة إطلاق ما عُرِف بـ"عملية سـلام الشرق الأوسط" في تسعينيات القرن الماضي.

كما أنّ انزلاق البيت الأبيض إلى التطابق مع مواقف إسرائيلية في شأن القدس والتســـوية السياسية عموماً، يُضعِف من شرعية الدور الأمريكي التقليدي في رعاية التسوية السياسية؛ فكيف به إن انبرى إلى محاولة فرض "صفقة القرن" بصـفة قد لا تحظى برضى فلسـطيني أو بغطاء عربي ودولي كافٍ؟ فاندفاعات ترمب وتجاوزه نهج الرؤساء الأمريكيين السابقين وخط "الرباعية" الدولية؛ قد تعود بصـــعوبات على الولايات المتحدة في إدارة علاقاتها الدولية وحشد المواقف معها، كما اتضـح في عجز واشنطن عن حشـد تأييد أوروبي أو دولي لخطوتها بشأن إعلان القدس عاصمة للاحتلال.

لكن من الواضح، في المقابل؛ أنّ واشنطن ماضية إلى استغلال انجراف عواصم عربية مع نهج "صفقة القرن" في التمكين لهذا التوجّه، وفي تمويله أيضـــاً بدرجة ما، علاوة على إضفاء "شرعية عربية" عليه، حتى وإن لم تنجح في توفير غطاء دولي كافٍ للتوجّه.

وقد باشرت الولايات المتحدة ضغوطاً مضـاعفة على السـاحة الفلسـطينية لإرغامها على الانصياع لـتوجهات "صفقة القرن" المفترضة، كما اتضح في التلويح بضـغوط على السـلطة الفلسطينية مثل قضـية إغلاق مكتب منظمة التحرير لديها، وفي التوسّع في تصـنيف رموز حـركة "حماس" على قوائم "الإرهاب"، وفي حجب التمويل لوكالة "الأونـروا"، وغيـر ذلك من الخطوات.

ويبقى التوجّه إلى "صـفقة القرن" مرتهناً باسـتقرار إدارة ترمب في موقعها دورة كاملة أو دورتين على الأرجح، علاوة على استقرار شركاء الصـــفقة في مواقع الحكم الإسرائيلية والعربية ذات الصلة، وهو ما يشير إلى تحدٍّ آخر تواجهه "الصفقة".

▣ الأطراف الأوروبية والدولية:

من أبرز محددات المواقف الأوروبية بشأن القضية الفلسطينية؛ التمسك بمشروع "الدولتين" كما صاغته "الرباعية"، وبنهج المفاوضات سبيلًا لحل القضية، علاوة على مواصلة منح بصيص أمل للشعب الفلسطيني عبر التسوية السياسية وخيار التفاوض، ويتعارض هذا، عموماً، مع منطق "صفقة القرن" المفروض بإملاءات عهد ترمب بالتماهي مع حكومة نتنياهو التي لا تثير توجّهاتها في موضوع التسوية ارتياح الأوروبيين.

وإن لم تكن أوروبا الموحدة حتى الآن متوافقة مع نهج ترمب، وتنأى بنفسها بوضوح عن بعض مواقفه كما تجلّى بعد إعلانه المتعلق بالقدس، فإنّ السؤال يتعلّق بالتالي بسلوكها المستقبلي إزاء "صفقة القرن" المفترضة حال نضوجها.

ويبدو من المؤشرات المتاحة حتى الآن أنّ المواقف الأوروبية تميل إلى إنتاج صيغة رعاية دولية جديدة للمفاوضات، في محاولة لتعويض الجنوح الأمريكي في عهد ترمب. وسواء قرّرت أوروبا عرقلة "صفقة القرن" بطرق غير مباشرة أو عدم التعاون معها أو تحاشي إبداء الحماسة لها؛ فإنّ ذلك قد لا يسري على الدول الأوروبية جميعاً. فقد تتناغم دول أعضاء في الاتحاد الأوروبي، في شرق أوروبا ووسطها، مع التوجّهات الأمريكية - الإسرائيلية، خاصة وأنّ السياسات الخارجية الأوروبية ليست شيئاً واحداً فهي تنطوي على تباينات نسبية في شأن القضية الفلسطينية ومدى تواؤمها مع واشنطن أو افتراقها عنها.

وسيبقى سؤال الشراكة التمويلية لـ"صفقة القرن" المحتملة ورقة يستقوي بها الاتحاد الأوروبي الذي كان بمثابة الراعي المالي الأوّل لمرحلة أوسلو، وهو ما يتطلّب من الولايات المتحدة استحضار الجانب الأوروبي في المشهد بدرجة أو بأخرى، علاوة على الحاجة إلى غطاء دولي للصفقة، حتى وإن ضمنت سخاء التمويل الذي قد تباشره أطراف خليجية.

ومن الأسئلة التي تثيرها "صفقة القرن" ما يتعلّق بطبيعة سلوك أطراف دولية إزاءها، تتقدمها روسيا بوزنها المتزايد في المنطقة وبدورها أيضاً في "الرباعية" الدولية. ولا يُستبعد أن يتحدّد الموقف الروسي من "الصفقة" تبعاً لترتيبات دولية أعمّ قد تأخذ في النهاية طابع "صفقة" أو مواءمات تبادلية تشمل مآلات الوضع السوري ودور روسيا في المنطقة. فموسكو معنية بمراقبة تطوّرات "صفقة القرن" المفترضة، وبوسعها أن تضغط على واشنطن في هذا الشأن، مع احتمال توظيف ذلك لتحسين شروطها التفاوضية في ملفات أخرى تشمل الملف السوري مثلًا وملفات أخرى.

سيناريوهات واستنتاجات عامة

▣ سيناريوهات:

▪ على صعيد ماهية "صفقة القرن"

فقد تكون الصفقة ناضجة بالفعل بشكل مسبق بصفة "اتفاق رفّ" جاهز للتنفيذ، وقد تكون بعض الأطراف وافقت عليه أيضاً بدرجة ما. وقد لا تكون الصفقة ذاتها قد نضجت ابتداء وإنما كانت مزيجاً من الأفكار والرؤى والمشروعات القديمة الجديدة التي وقع لاحقاً خلال عهد ترمب إنضاجها تدريجياً على النحو الذي يتوقع أن يعلن عنه البيت الأبيض قريباً.

ورغم انشداد الأنظار إلى ما ستفصح عنه إدارة ترمب بشكل رسمي بشأن "صفقة القرن"؛ فإنّ توجّهاتها المحفوفة بالغموض حتى الآن تسمح بالافتراض بأنّ ما سيُفصَح عنه قد لا يكون بالضرورة هو "الصفقة" عينها بحذافيرها أو بكلّياتها، وإنما هو "خطاب الصفقة" وإن أبرز محاورها الأساسية.

▪ على صعيد ماهية كيفية تنزيل "الصفقة"

قد يحظى تنزيل الصفقة بدعم إقليمي ضمني وإقرار دولي بشكل أو بآخر، أو قد تتعثّر لدى تنزيلها في الواقع بسبب إحجام أطراف أساسية عن الانخراط فيها؛ أو بسبب تطوّرات غير محسوبة مثل نشوب حرب مثلًا، أو تبعاً لتغيير ما في عاصمة عربية، أو دخول البيت الأبيض في أزمة داخلية تهدد استمرار الرئيس ترمب في منصبه أو مثل ذلك بالنسبة للقيادة الإسرائيلية، على سبيل الافتراض.

وحتى إن لم تكن الصفقة ذاتها ناضجة بالكامل، فإنّ ذلك لا يحول دون تطبيقها جزئياً أو مرحلياً، بأسلوب الخطوة خطوة مثلًا أو بموجب الفرص السانحة، مع ملاحظة أنّ طول أمد تطبيق الصفقة يتيح لها هذه السعة.

أما إن وقع فرض الصفقة ككلّ بصفة حزمة واحدة متكاملة، وإنجاز خطوات كبرى بمقتضاها بالفعل، مع ما يتلازم مع ذلك من تجاذبات ومناوأة بمآلات متعددة؛ فإنّ هذا السيناريو قد يتضمّن خيارات خشنة، من قبيل شنّ حرب/ حروب لكسر شوكة المقاومة أو تشديد الحصار لمحاولة تركيعها.

وقد يجري التعويل على تمرير الصفقة في مسارها العربي، أو على صعيد بعض دول الخليج تحديداً، بصفة تأخذ منحى تطبيعياً سافراً، حتى إن تعثّرت فلسطينياً ولم تتقدم مصرياً وأردنياً. وستعني هذه الحالة أنّ مسار "السلام الإقليمي" يتجاوز القضية الفلسطينية التي ستبقى معلقة غالباً بمفاوضات بأفق أو بدون أفق.

ويبقى احتمال أن تتعثّر صفقة القرن أو تنهار بشكل شامل بعد شوط من المراهنات أو بعض الخطوات العملية، وقد يفتح هذا الإخفاق المجال لخطوات ارتدادية من قبيل تماسك محاور إقليمية ومواقف دولية في اتجاهات مناوئة للموقف الأمريكي - الإسرائيلي، على افتراض تماسكه.

▣ خلاصات واستنتاجات عامة:

تشهد القضية الفلسطينية مرحلة جديدة محفوفة بالمخاطر والتحديات، تميل فيها مواقف الإدارة الأمريكية المعلنة إلى التطابق مع توجّهات الاحتلال الإسرائيلي ومخططاته، ويقع خلالها محاولة فرض واقع جديد لتصفية القضية من خلال المشروع المسمى إعلامياً "صفقة القرن"، مع استغلال اختلالات الأوضاع الإقليمية وانكشاف الساحة الفلسطينية وتكبيلها على نحو غير مسبوق.

ويفرض الطابع الغامض لتوجّهات "صفقة القرن" المفترضة اتساعاً في نطاق التقديرات والاحتمالات المرتبطة بها. كما أنّ الواقع الدولي الراهن عموماً والواقع الإقليمي العربي خصوصاً لا يمنح يقيناً بشأن الكيفية التي يمكن لهذه "الصفقة" المفترضة أن تتنزّل بها، علاوة على اهتراء شبكة الأمان الإقليمية التي يمكن للقضية الفلسطينية أن تحتمي بها في مواجهة مخاطر هذه اللحظة.

وبالنظر إلى طابعها الغامض وتأويلاتها المتعددة؛ فإنّ "صفقة القرن" لا تبدو حالة محددة على نحو مؤكد، فقد تكون الصفقة ناضجة بالفعل بصفة "اتفاق رفّ" جاهز للتنفيذ، وربما مع احتمال موافقة بعض الأطراف عليه بدرجة ما. وحتى إن لم تكن الصفقة ناضجة بعد، أو إن كانت مزيجاً من أفكار ورؤى ومشروعات قديمة جديدة؛ فإنّ ذلك كلّه لن يحول دون محاولة تطبيقها جزئياً أو إنزالها في الواقع مرحلياً، بأسلوب "الخطوة خطوة" مثلًا أو عبر استغلال الفرص السانحة في الإقليم، خاصة مع بعض التقديرات القائلة بطول أمد الصفقة بما قد يصل إلى عقد من الزمن.

ومع ذلك كله؛ فقد تواجه "صـــفقة القرن" المفترضـــة تعثّراً لدى محاولة تنزيلها في الواقع بدرجة أو بأخرى. كما أنّ إمكان التوصل إلى "الصـــفقة" لا يقضـــي بقابليتها الفعلية للتثبيت والاستدامة، خاصة مع احتمال نشـــوء حالة من تلاقي إرادات الخاسرين منها، بما يدفع لتبلوُر محاور واصطفافات في مواجهتها عربياً وإسلامياً ودولياً وإن بصـفة متحركة غير ثابتة. وتدخل في ذلك حاجة واشـنطن إلى توفير غطاء دولي لتوجّه بحجم "صـفقة القرن" لا يمكن للولايات المتحدة وحدها أن تمضي إلى فرضه.

إنّ طابع المجازفة النسبية الذي تنطوي عليه "صفقة القرن" المحتملة قد يدفع بارتدادات غير محســوبة في الســاحة الفلســطينية و/أو على المســتوى الإقليمي، خاصة مع ما قد تجّره التوجّهات الأمريكية - الإسرائيلية المتضـــافرة في ظلال "الصـــفقة" على بعض الأوضاع في الإقليم. وفي المقابل؛ قد تجد القيادة الإسرائيلية المتصـــلّبة في بعض جوانب "صفقة القرن" المفترضـــة ما لا يتماشـــى بالكامل مع تطلّعاتها منها، خاصـــة بالنظر إلى طبيعة التركيبة الحكومية والبرلمانية الهشّة نسبياً القائمة في كيان الاحتلال؛ والتي لا تتيح فرصة لتقديم ما سمّتها حكومات إسرائيلية سابقة "تنازلات مؤلمة".

ويبقى من عوائق "الصـــفقة" ذلك المخزون الكامن من المعارضة الشـــعبية في العالم العربي والإسلامي لتوجّهات التطبيع مع كيان الاحتلال، على نحو قد تســـتفزّه توجّهات "الصـــفقة" المفترضة، مع ملاحظة حاجة "صفقة القرن" كي تمرّ إلى حجب الإرادة الشـــعبية في البلدان العربية المعنية بها وهو ما يمثل حالة كبت مضـــاعفة من المســـتبعد افتراض قابليتها للاستدامة.

كما ستواجه مســـيرة "صفقة القرن" المفترضة، احتمال حدوث تطورات داهمة، سواء على المســتوى الميداني، مثل نشــوب حرب على الجبهة الشــمالية (لبنان وسورية)، و/أو على الجبهة الجنوبية (قطاع غزة)؛ أو على المستوى السـياسي الداخلي بما قد يعصـف بحكومة نتنياهو أو بإدارة ترمب ذاتها تحت ضـــغط الملفات الداخلية المثارة بحقهما. وتلحق بذلك تطوراتُ حالة ضعف الاستقرار السـياسي في الإقليم العربي وما قد تدفع به من مفاجآت غير محسوبة.

ورغم ما تُوحي به من اندفاع جارف؛ فإنّ "صفقة القرن" لا يسعها أن تمضي على سبل ممهّدة، ولهذا فإنها ستحرص على إضعاف كل ما يعيقها بما في ذلك قوى المقاومة وفرص التعبير عن الرفض الشعبي، وستحرص على استثمار حالة من الرضوخ الرسمي والانشغال الإقليمي بالصراعات والأزمات القائمة؛ لتمرير توجّهاتها. وبهذا؛ لا يمكن استبعاد عوامل وتطورات عدة محتملة من معادلة "الصفقة"، ومنها كيفية تصرّف المقاومة ومخزونات الرفض الشعبي وقابليات انتظام محاور مناوئة لها.

إنّ الإرهاصات المتضافرة التي تدفع بها "صفقة القرن" حتى قبل خروجها رسمياً إلى العلن؛ بوسعها أن تكون محاور اشتباك تستهدفها القوى المناوئة لتوجهات "الصفقة"، ومن ذلك حمّى التطبيع العربي مع الاحتلال. كما أنّ إحباط مفعول "الترضيات" التي ستحاول "الصفقة" تقديمها للساحة الفلسطينية من باب ذّر الرماد في العيون ولإظهار حالة توازن مصطنعة تمهيداً لتصفية القضية الفلسطينية؛ يبقى من أولويات مواجهة "الصفقة" وإحباط مساعيها الجارفة لفرض هذا المشروع الجائر على فلسطين وقضيتها والمنطقة.

تم بحمد الله

حيفا
تل أبيب
البحر المتوسط
الضفة
الغربية
غزة
فلسطين
الوطن البديل
بوابة بلاان

رؤيتنا

المركـز الفلسطينـي الأول في مجـال تنميـة الوعـي بالقضيـة الفلسطينيـة محلـياً ودولـياً .

رسالتنا

مركز فلسـطيني غير ربحي، يُعنى بالشـؤون السـياسية والتنموية الخاصة بالقضـية الفلسـطينية على الصـعيدين المحلي والعالمي، ويسـعى إلى زيادة الوعي المجتمعي بالقضـية الفلسـطينية بهدف توسـيع رقعـة التضـامن وتحقيـق العدالـة للشـعب الفلسـطيني عالمـياً من جـهـة، وبلـورة رؤى واستخلاصات تمكن صانع القرار الفلسـطيني من الاستفادة منها في التعاطي مع المسـتجدات على الساحة الإقليمية والدولية من جهة أخرى.

أهدافنا

- المسـاهمة بتوعية الرأي العام الفلسـطيني بالقضـايا الوطنية والسـياسية والتنموية من أجل خلق جيل قادر على الدفاع عنها في المحافل الدولية.
- استنهـاض قـادة الـرأي فـي كافـة المجـالات لدعـم القضـية الفلسـطينيـة.
- تشـكيـل رأي عـام عالمـي متضـامـن مـع الشـعب الفلسـطينـي.
- بلـورة رؤيـة واضحـة لـدى صانـع القـرار الفلسـطيني تجـاه مـا يحـدث فـي دوائـر صنع القرار العالمية ووسائل الاعلام الغربية.

قيمنا

التميز | الجودة والتطوير | العالميـة | المسئولية المجتمعية | التعاون

مركز الدراسات السياسية والتنموية

Center for Political & Development Studies

مركز الدراسات السياسية والتنموية

Center for Political & Development Studies

عن المركز

يُعنى بالشؤون السياسية والتنموية الخاصة بالقضية الفلسطينية على الصعيدين المحلي والعالمي، ويسعى إلى زيادة الوعي المجتمعي بالقضية الفلسطينية بهدف توسيع رقعة التضامن وتحقيق العدالة للشعب الفلسطيني عالمياً من جهة، وبلورة رؤى واستخلاصات تمكن صانع القرار الفلسطيني من الاستفادة منها في التعاطي مع المستجدات على الساحة الإقليمية والدولية من جهة أخرى.

آليات عمل المركز

- إصدار الكتب والأبحاث والدراسات والمجلات العلمية المُحكمة.
- عقد الدورات الندوات وورش العمل والأيام الدراسية والمؤتمرات.
- إقامة المعارض والأنشطة الفنية التي تخدم القضايا الوطنية.
- عقد دورات تدريبية متخصصة في مجالات السياسة والإعلام واللغة.
- استضافة الوفود المؤيدة للقضية الفلسطينية وتبادل الخبرات معها.

+970 82 843 930
+972 597 991 050
www.cpds.ps
cpdspal@gmail.com
cpdspal
غزة-برج نعمة-الطابق الثامن

جميع الحقوق محفوظة لمركز الدراسات السياسية والتنموية® 2018